استاذ المقياس: د/ إبراهيم هياق المقياس: منهجية البحث في علم الاجتماع 01

المستوى: السنة الثانية علم الاجتماع المحاضرة: 03

ثانيا:مرحلة القطيـــعة

تمهيد:

إن أكبر تحدي يواجه الباحث هو اختيار موضوع البحث،هذا الاختيار الذي يجب أن يكون نابعا من الشعور بمشكلة تؤرق الباحث ويسعى إلى دراستها،ولن يتحقق ذلك إلا بتوفر مجموعة من الشروط من أهمها،أن يتمتع موضوع الدراسة بمواصفات القابلية للبحث،نتيجة احترام الاعتبارات الواجب مراعاتها عند اختيار مواضيع البحث الاجتماعي كما أسلفنا في المحاضرة السابقة،هذا المشروع البحثي يتطلب التعبير عنه في شكل سؤال انطلاقي،يتسم بمجموعة من المواصفات تجعل منه موجها لإشكالية البحث، وتمكن الباحث من التحكم الجيد في مجريات العملية البحثية.

فما هي الخطوات الأساسية الممهدة لرسم معالم إعداد بحث علمي؟؟

1-المرحلة الأولى: تحديد سؤال الإنطلاق

1-1-تحديد الهدف من البحث:

يعد تحديد الهدف من البحث المراد انجازه مرتكزا هاما في عملية البحث العلمي،فالباحث في العلوم الاجتماعية كغيره من الباحثين في شتى العلوم وخاصة المبتدين يجدون صعوبة في تحديد معالم البحث وأهدافه، وهذا ما عبر عنه باشلار بقوله" إذا كنا لا ندري عن أي شيئ نبحث،فإننا لا ندرك كنه ما نعثر عليه،أو أننا لانعرف حقيقة ما نعثر عليه.ومن المؤكد أن أي باحث يعتريه الخوف والتردد في ذلك،وهذا أمر عادي يحدث بشكل متكرر،وعلى من يتصدر لمهمة البحث العلمي،أن يكون واعيا بذلك وعليه

صار من الضروري على الباحث تحديد الهدف من بحثه بشكل دقيق يكون حافزا لمواصلة عملية البحث،.وأن يحرص على البدء في العمل معتبرا هذا نطقة ارتكاز لما سيتم مستقبلا في مسار البحث،تنبثق عنه أسئلة فرعية أخرى يمكن للباحث أن يجيب عنها في مراحل متقدمة من مسار البحث.

1-2-تحديد السؤال الموجه لإشكالية البحث

يعتبر التصور المقترح لمراحل البحث العلمي من طرف كل من" كيفي وكمبنهود"، من التصورات التي تلقى رواجا واسعا،نظرا لما يتظمنه من مميزات عملية من شأنها تمكين الباحثين خصوصا المبتدئين من التحكم الجيد في مجريات العملية البحثية،حيث يتبنى فكرة "غاستون باشلار" في تلخيصه لأهم خطوات المسار العلمي في بضع كلامات،فالواقعة العلمية عنده" تغزى وتبنى وتعاين" وبهذه الكلمات لخص المسار في المراحل الثلاثة تغزى وتخلص من الأحكام المسبقة،وتبنى بالعقل وتعاين بالواقع. (ريمون كيفي، 1997، صفحة 29.).

فالمرحلة الأولى وتتمثل في القطيعة الابستمولوجية،وتشير هنا إلى تخلص الباحث من كل ما من شأنه أن يعيق البحث العلمي من أحكام مسبقة توحي بأننا نفهم الواقعة،وقد يكون هذا فهما من قبيل الوهم،فالقطع هو الفعل التكويني الأول في مسار البحث العلمي،فالقطع"في العلوم الإجتماعية ينطوي ما ندعيه لأنفسنا من ثقافة نظرية " على مكائد عديدة لأن قسما كبيرا من أفكارنا نستوحيه من المظاهر المباشرة أو من مواقفنا المتميزة.وفي الغالب لا تكون هذه الأفكار إلا من قبيل الأوهام والأحكام المسبقة. والبناء على مقدمات كهذه كالبناء على الرمل، من هنا أهمية القطع الذي يرتكز تحديدا على فصم أية علاقة مع الأحكام المسبقة والبديهات الخاطئة التي توهمنا فقط بأننا نفهم الأشياء." (ريمون كيفي، 1997، صفحة 30).

إن تبني هذه الوجهة في مسار البحث العلمي تخلصنا من كل المعارف والاحكام السابقة القادرة على تثبيط النشاط العقلي تجاه الواقعة المدروسة،سعيا ينشد الموضوعية في البحث العلمى في أرقى صورها.

يضع كل من " كيفي وكمبنهود"،مراحل للقطيعة مع كل معرفة سابقة لا تستند لأسس علمية،يكون فيها الباحث متجرد من كل حكم سابق،مستعد لمناقشة موضوع بحثه،من خلال بناء أولي تقريبي للموضوع،مع محاولة توضيح أبعاده قدر الإمكان،يتجلى ذلك في تحديد سؤال الإنطلاق.

الذي يعتبر المرحلة الأولى الفرعية من المرحلة الرئيسية المتمثلة في القطيعة المعرفية،يسعى الباحث من خلاله أن يعبر بدقة عن ما يسعى إلى معرفته من خلال بحثه،ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى ضرورة التمييز بين سؤال الإنطلاق والإشكالية،فالأول هو تمهيدا لبناء إشكالية البحث العلمي،" فالسؤال الرئيسي كما يعبر عنه أحيانا"ضروري ولا غنى عنه للباحث صاحب الأطروحة،كضرورة خط السير الذي على البحار معرفته واتباعه،فهو يحفظ الباحث من الضياع." (دليو، 1997، صفحة 81).

وسنعرض نماذج من أسئلة الانطلاق لمجموعة من الباحثين للوقوف عل أهمية هذه الأسئلة في بلورة تصور واضح ودقيق لمشكلة البحث.

2-نماذج من أسئلة الإنطلاق

المثال الأول: يمكن استخلاصه من دراسة **ريمون بودون** المنشورة في سنة 1973 في كتاب تحت عنوان: "التفاوت في الحظوظ: الحراك الاجتماعي في المجتمعات الصناعية"، حيث تمثل السؤال الذي استند إليه في مستهل بحثه فيما يلي: "التفاوت في الحظوظ التعليمية هل يميل إلى النقصان في المجتمعات الصناعية؟". هذا السؤال الأول والمركزي الذي طرحه **بودون** قاده إلى طرح سؤال آخر يتناول "تأثير اللامساواة في التعليم على الحراك الاجتماعي". (ريمون كيفي، 1997، الصفحات 38-39).

المثال الثاني: ويتمثل في السؤال الذي طرحه "**ألان تورين** حول الكفاح الطلابي في فرنسا: هل هو مجرد هيجان طلابي تتجلى فيه أزمة الجامعة، أو أنه يحمل في ذاته حركة اجتماعية قادرة على الكفاح باسم مقاصد عامة ضد السيطرة الاجتماعية؟" (عبد الله،ابراهيم، 2008، صفحة 51).
وهو البحث الذي طبق فيه طريقته في التدخل الاجتماعي والتي نشرت تقاريره وتحليلاته في كتاب(منشورات seuil،باريس 1978).تحت عنوان" الكفاح الطلابي.

المثال الثالث: أثار "**بيار بورديو**" و "**الآن داربيل**" سؤالا نشر في كتاب صادرعن دار منشورات"مينوي- باريس" سنة 1969،تحت عنوان "حب الفن" جاء كالتالي" مالذي يهيئ البعض للتردد على المتاحف،خلافا للغالبية العظمى من الناس الذين لا يترددون عليها" (ريمون كيفي، 1997، صفحة 39).

الملاحظة التي نسجلها من خلال استعراضنا لهذه النماذج الثلاث والتي أعدها وقام بدراستها سوسيولوجيون كبار،تتجلى في دقة ووضوح المسلك التصوري بكل أبعاده معبرا عنه بسؤال الإنطلاق مما يقود الباحث لطرح تساؤلات أخرى تخدم مسار بحثه،ونؤكد هنا على نقطة في غاية الأهمية وهي وضوح السؤال في ذهن الباحث يسبق عملية طرحه والشروع فى التنفيذ،كلما كان الباحث واعيا بداوعي بحثه،انعكس على سؤال الإنطلاق ومنه على مسار البحث برمته.إن أشهر المؤلفين، والباحثين لا يترددون في عرض مشروعات أبحاثهم "على شكل اسئلة بسيطة وواضحة، حتى ولو كانت هذه الأسئلة تقوم على اساس تفكير نظري عميق وشديد التماسك. وإذا كان جهابذة البحث الإجتماعي بجهدون في تعيين مشروعهم على هذا النحو من الإتقان، فإنه ينبغي التسليم بان الباحث المبتدئ، او المتوسط الخبرة ، أكان هاويا أو محترفا، لا يجوز له إدخار الجهد، وعدم ممارسة هذه المعادلة، حتى ولو كانت خلفيته النظرية في غاية التواضع،بالمقارنة مع جهابذة البحث." (عبد الله،ابراهيم، 2008، صفحة 51).

3-ما هي شروط سؤال الإنطلاق الجيد؟؟

لتحقيق الغاية من سؤال الإنطلاق يجب أن يتميز بجملة من الخصائص والمواصفات التي تمكنه من توجيه الباحث في مسار بحثه،والمساهمة في بناء مسلك تصوري واضح المعالم ومنسجم يسهم في بناء اشكالية بحث علمي،قابل للإنجاز.

3-1- الوضوح:

تعتبر خاصية الوضوح شرطا من شروط جودة سؤال الإنطلاق،فالوضوح معناه التخلص من كل غموض يعتري السؤال،وأن تكون عباراته واضحة تمام الوضوح في دلالته على محتوى البحث،وأن لايكون متكلف من حيث اللفظ أو الصنعة الكلامية،فلا يتكلف بإخراجه مسجوعا ولا بإخراجه بألفاظ غريبة. (الربيعة،عبد العزيز، 2012، صفحة 72).

سنعرض أمثلة لمجموعة من أسئلة الإنطلاق:

سؤال رقم (1): **ما هو تأثير التغيرات في تنظيم المجال المدني على حياة السكان؟**

هذا السؤال غامض الى أقصى درجات الغموض فما هي التغيرات المقصودة؟ وماذا نعني بحياة السكان؟ هل يتعلق الأمر بحياتهم المهنية،أم بحياتهم العائلية أم بحياتهم الثقافية، أم بحياتهم المجتمعية؟ من المناسب إذن صياغة سؤال دقيق ومحدد ولا يحتمل معناه أي غموض أو إلتباس. (عبد الله،ابراهيم، 2008، صفحة 52).

سؤال رقم (2): **إلى أي حد تفسر زيادة خسران الوظائف في قطاع البناء الإبقاء على مشروعات الأشغال العامة الكبرى المخصصة ليس فقط لدعم هذا القطاع بل أيضا للتقليل من مخاطر النزاعات الإجتماعية التي ينطوي عليها هذا الوضع؟**

هذا السؤال طويل جدا ومشوش . إنه يتضمن إفتراضات، وينقسم في النهاية إلى قسمين على نحو يصعب معه أن ندرك بالضبط ما نسعى إلى فهمه في المقام الأول. (ريمون كيفي، 1997، صفحة 42.43).

فالوضوح يتطلب أن:

- يطرح السؤال بشكل مقتضب قدر الإمكان،بحيث يفهم منه المعنى بسهولة،ولا يحتمل عدة تأويلات واضح الهدف(دقيق)، ويدور حول معنى واحد قدر المستطاع.

3-2- الموائمة:

ويقصد بها أن يكون السؤال حقيقيا،وأن يتوخى فهم الظاهرة المدروسة،بحيث لا يحمل أي شكل من الأحكام القيمية والمعايير الأخلاقية والمعبرة عن رأي أو نزعة وتوجه صاحب البحث إزاء قضية ما، وذلك سواء بالموافقة أو المعارضة بالرضا أو الرفض بالاستحسان أو الاستهجان، لأن أي بحث يجب أن ينطلق من الواقع الفعلي،مدعما نتائجة بالتحليل والاستنتاج.

سنعرض أمثلة لمجموعة من أسئلة الإنطلاق:

سؤال رقم (1):**هل الكيفية التي تنظم بمقتضاها الضريبة في بلدنا عادلة اجتماعيا؟**

هذا سؤال ذو منحى اخلاقي ترتبط الإجابة عنه بنظام قيم خاص بالشخص الذي صاغ السؤال. لذلك على الباحث أن يواجه الواقع بعبارات التحليل وليس بعبارات الحكم الأخلاقي . والسؤال الجيد

لا يكون ذا صـبغة اخلاقية ، ولا يسـعى الى حكم يعطه بل الى فهم يغنيه. (عبد الله،ابراهيم، 2008، صفحة 53).

ومن مواصفات الملائمة التي أشار إليها الجلبي:أن لايكون السؤال مغلق بحيث يحتمل الاجابة ب"لا" أو "نعم" لأن المشكلات التي يمكن الاجابة عنها بنعم أولا،ليست مشكلات صالحة للبحث،ذلك أن مواقف نعم أو لا،لاتترك أي مجال لتفسير المعطيات،بقدر ما تتطلب عادة مقارنة المعطيات بمعيار أو مستوى معرفي،ثم اتخاذ قرار مباشر بشأنها." (الجلبي، 1986، صفحة 50).

وأن لايكون السؤال وصفيا لايتطلب أكر من مجرد معرفة أرقام،لأن سعي الباحث الاجتماعي لا يتوقف عند الوصف،بل يتعاداه إلى الفهم والتحليل والتفسير ،من خلال استخدام تقنيات الملاحظة والتجربة.

سؤال رقم (2): **هل تطال البطالة الشباب اكثر مما تطال الراشدين؟**

يملك هذا السؤال جوابا وصفيا، هدفه الوحيد جمع المعطيات، دون أن يسعى الى فهم أفضل لظاهرة البطالة.ولهذا هو محدود وغير كاف.إن السؤال الجيد في بداية البحث يستهدف فهما أفضل للوقائع المدروسة وليس فقط وصفها. (عبد الله،ابراهيم، 2008، صفحة 53).

سؤال رقم (3): **ما هي التغيرات التي سيحدثها تنظيم التعليم في العشرين سنة المقبلة؟**

يهدف هذا السؤال الإتيان بمجموعة من التنبؤات، ويتغذى بأوهام ساذجة حول المدى الذي يصل اليه اي بحث اجتماعي حول تطور قطاع من قطاعات الحياة الإجتماعية. "وهو حين يقوم بذلك يتغذى بأكثر الأوهام سذاجة حول المدى الذي يصل إليه عمل من أعمال البحث الإجتماعي. فعالم الفلك بإستطاعته التنبؤ مسبقا وقبل فترة طويلة بمرور أحد المذنبات على مقربة من النظام الشمسي لأن مداره يستجيب لقوانين ثابته ولا يملك حيالها القدرة على الإفلات منها ذاتيا. إن ذلك لا ينطبق على النشاطات الإنسانية التي لا يمكن أبدأ التنبؤ باتجاهاتها على نحو أكيد. (ريمون كيفي، 1997، صفحة 48).

كما يجب أن لا يكون ذات طابع فلسفي،يبحث في أمور غيبية، لا يمكن إخضاعها لمناهج البحث وعمليات التحليل الخاصة بالعلوم الاجتماعية. (دليو، 1997، صفحة 83).

فالسؤال المحقق لشرط الموائمة يجب أن يكون حقيقيا يُعنى بدراسة ما هو قائم،ويؤسس دراسة التغير على دراسة سير العمل،ويتوخى فهم الظواهر المدروسة. (ريمون كيفي، 1997، صفحة 52).

3-3- القابلية للتنفيذ:

ويقصد بها تحلي البحث بدرجة مقبولة من الواقعية،فالباحث قبل صياغته لسؤال الإنطلاق الموجه لإشكالية بحثه،يجب عليه معرفة حدود امكانياته البحثية،ماديا وزمنيا وماليا وامكانياته اللغوية،التي تمكنه من تقديم عناصر مقبولة للاجابة.

نقدم مثالا على:

- **هل لدى أصحاب المؤسسات في مختلف البلدان التابعة للاتحاد الأوروبي الفكرة ذاتها حول تنافس الولايات المتحدة واليابان على الصعيد الإقتصادي؟**

نلاحظ أن الإجابة العلمية عن هذا السؤال تتطلب حشد امكانيات كبيرة،مادية وبشرية ومالية وفترة زمنية طويلة قد لا يقوى الباحث على تحملها،"إذا كنت تستطيع أن تكرس لهذا البحث سنتين كاملتين على الأقل، وإذا كان بتصرفك ميزانية تصل إلى عدة ملايين ، ومساعدون أكفاء فعالون ويتقنون لغات عدة، فيمكنك بدون شك إتمام مشروع من هذا النوع والوصول إلى نتائج مفصلة بشكل كاف توخيا لبعض الفائدة. وإذا لم يكن متوفرة لك كل ذلك فمن الأفضل تقليص مطامحك." (ريمون كيفي، 1997، صفحة 43).

ومن هنا فسؤال الإنطلاق يجب أن يكون على علاقة بالامكانات المتوفرة للباحث،فكل العوامل السالفة الذكر تؤثر بكل مباشر على مسار البحث،فكلما كان سؤال الإنطلاق واضحا وموائما وواقعيا،تمكن الباحث من متابعة مسار بحثه والوصول إلى النتائج المطلوبة.